التّداولية في الكتابات اللّسانية الجزائرية: المنطلقات والآفاق

Pragmatics in Algerian textbooks: Starting and horizons

ذهبية حمو الحاج*

قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة تيزي وزو-الجزائر

hamoulhadj_d@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2023-07-31	2024-01-06	2024-01-26

ملخّص: تحدّد التيّار التّداولي في المنتصف الثّاني من القرن العشرين، ويعدّ ظهوره خطوة منهجية جديدة لدراسة اللّغة البشرية، التي ما فتئت تُعالج من عدّة زوايا: نفسية، واجتماعية، وتاريخية...وفي عدّة مستويات: صوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، ومعجمية. سمح ظهور التّداولية للدّرس اللّساني أن يعرف منعرجا حاسما، من حيث إثارة عدد من العناصر التي كانت من محظورات البنيوية كالسّياق، والإحالة، والذّات المتحدّثة، والعوالم الخارجية. ومن خلال نموذج من نماذج الكتابات الجزائرية في المنهج التّداولي، اتّضحت أهميّة توظيف اللّغة واعتماده في الدّراسة من خلال البحث عن الذّات المتحدّثة في المنحى التّواصلي ذي المقامات المختلفة، وتغير الدّلالة والمعنى في حضور السّياق، ما يقتضي في الحقيقة فتح الباب على البّلاغة، والتّراكيب، والتّواصل، والكشف عن اسهامها في تداول اللّغة وتداوليتها، وربط البنية الدّاخلية للّغة بالمنظومة المجتمعية، التي تفرض الاهتمام بجميع عناصر التّواصل البشري.

كلمات مفتاحيّة: التّداولية؛ التّواصل؛ اللّسانيات؛ فلسفة اللّغة؛ الخطاب.

Abstract: It identifies the pragmatics stream in the second half of the twentieth century, and its emergence is a new systematic step to study the human language, which has been treated from several angles : psychological, social, historical... and at several levels: vocal, pure, compositional, semantic and lexical. The emergence of

* المؤلف المرسل

pragmatics allowed the lesson to know an important milestone, in terms of raising a number of elements that were structural prohibitions such as context, referral, modernized subjects, and external worlds.

Through a model of Algerian writings in the pragmatics approach,the importance of language recruitment and accreditation in the study has been demonstrated by the search for modern subjects in a communicative and differentiated direction, And the meaning changes in the presence of the context, which in fact requires opening the door to rhetoric, Synthesis, communication and disclosure of its contribution to language pragmatics and pragmatics, and linking the language's internal structure to the community system, which forces attention to all elements of human communication.

Keywords: Pragmatics; communication; linguistics; language philosophy; discourse.

1- المقدمة: عرف مطلع القرن العشرين تحوّلا هامًا في تاريخ الفكر اللّساني الحديث، وتحديدًا مع ما قدّمه اللّساني دي سوسير في محاضراته الشهيرة، حيث عدّت تأسيسا لمرحلة جديدة مغايرة لتصوّرات الدّارسين السّابقين رغم ما أخذته من بحوثهم المختلفة: الفلسفية، والاجتماعية، والنّفسية... ويعدّ التّصور السوسوري للّغة ودراستها علميا ركيزة يستأنس بها الباحثون في سبيل تأسيس الدّرس التّداولي الحديث، الذي انطلق حسب الباحثين اللّسانيين العرب من التّمييز بين الجانب الاجتماعي في اللّغة والجانب الفردي منها، ولمثل هذا التّمييز دور أساسي في حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللّغوية الواحدة، وتعبّر عن القوانين العامّة التي يؤدّى فيها التّواصل، ويكون الخطاب على إثرها ناجحا ما احترمها ومخفقا ما خالفها، ذلك أنّ اللّغة في جانبها الاجتماعي تحكمها قوانين الظّواهر الاجتماعية جميعا، التي ليست من إبداع الأفراد ومن الصّعب مخالفتها أو تحويرها.

وبهذا التّصوّر يمكن القول أنّ التّداولية شكّلت منعرجا حاسما في دراسة اللّغة البشرية مثلما شهدته مع سوسور، إذ تمّ بفضلها قلب موازين الدّرس اللّساني المعاصر، الذي اضطر إلى إعادة النّظر في ممنوعات سوسور وإدراجها مرّة أخرى في دراسة اللّغة والاحتفاظ بالعلمية، وفي هذا الإطار نجد عددا من الباحثين اللّسانيين المعاصرين

ممّن حاول نقل التيّار التّداولي إلى البيئة العربية والتزم بتقليد المصطلحات واخضاعها للتأقلم والاشتغال بها وتطبيقها على اللّغة العربية، وممّن حاول الاجتهاد وتثوير المفاهيم واعطاءها أبعادا أخرى في محاولة ربط الحداثة بالإصالة ممّا ينطبق على مصطلح السيّاق، والتّضمين، والحجاج، والأفعال اللّغوية....

من هذا المنطلق ومن خلال الإشكالية الأساسية وما يندرج ضمنها من قضايا، وفي سبيل بناء البحث سنحاول الإجابة عن بعض الأسئلة الجوهرية من قبيل: كيف تلقّى اللّساني العربي المعاصر مصطلح التّداولية والمباحث التي تندرج ضمنه؟ ما هي المواضع التي ركّز عليها في توجيه الدّرس التّداولي العربي؟ وكيف يمكن النّظر إلى هذه الجهود المبذولة في نقل مصطلح التّداولية والاشتغال به في تحليل الخطابات؟

2- اللّسانيات ما بعد البنيوية وبوادر التّداولية: من المحطّات التي وجب على الكاتب العربي الوقوف عليها كانت اللّسانيات البنيوية ثمّ اللّسانيات ما بعد البنيوية، التي عرفت التّوجّه الجديد نحو الذّاتية والإنسان وتوظيف اللّغة لأغراض أخرى متعدّدة. لقد عاد المؤلّف إلى هذه المفاهيم وقدّمها بمواصفاتها المألوفة وهي: التّوليدية التّحويلية وعقلانية دراسة اللّغة، واللّسانيات الوظيفية والأبعاد التّداولية للّغة، واللّسانيات النصّية وتحليل الخطاب. أثار المؤلّف هذه القضايا المتداولة كثيرا في البحوث اللّسانية المعاصرة بهدف ربط الدّرس اللّساني بمنطلقاته واستشراف آفاقه بعد أن فتحت الأبواب على ما بعد البنيوية، الأمر الذي يسمح لنا بالوقوف على عنصرين أساسيين يلخّصان كيفية انتقال البحث اللّساني من لسانيات الكلمة والجملة إلى لسانيات التّلفّظ والخطاب:

3- اللّسانيات المعاصرة في إطار البنيوية: يعود الفضل إلى اللّساني فرديناند دي سوسور F. Dessaussure (1913-1957) الذي أثار قضية علمية اللّغة ودراستها مثل العلوم الدّقيقة، بعد أن كانت دراستها منصرفة إلى الفلسفية الرّومانية في ليبزيج Leipzig حيث كان له لقاء مع النّحويين Néogrammairiens، ويتمّ التّأثر بهم

وتكون مذكّرته الشّهيرة حول النّظام البدائي للصّوائت Voyelles في اللّغات الهندو أوروبية، ويعالج فيه ما يتعلّق بالصّوتيات التّاريخية، وفي ذلك المسعى محاولة للكشف عن اللّغة الأولى. وبعد إنهاء سوسور لأطروحته، يقوم ميشال بريال M. Breal بدعوته إلى باريس للتّدريس، وعشر سنوات بعد ذلك يعود إلى سويسرا (جنيف) ويدرّس فيها النّحو المقارن لبضع سنوات، وبعدها وبين عامي 1906 و1911 يقدّم فيها محاضرات في اللّسانيات العامّة، فتبدو هذه المسيرة بسيطة عادية، إلا أنّها شكّلت خطوة حاسمة في تطوّر دراسة اللّغة البشرية.

غادر سوسور الحياة بسبب المرض دون أن يقوم بنشر أي شيء من محاضراته، ويتكفّل بذلك كلّ من شارل بالي وألبير سشهاي، وذلك في حدود 1916 أين يصدر الكتاب المنسوب إلى سوسور، ويصبح هذا الكتاب بالذّات الانطلاقة الرّسمية للدّرس اللّساني الحديث والمعاصر، ونشوء المدارس البنيوية وما بعد البنيوية، التي انشقت في أصلها إلى مدارس أوروبية وأخرى أمريكية. تمثّلت المدرسة الأوروبية في كلّ من حلقة براغ Prague ومدرسة كوبنهاجن Copenhague. بينما عرّجت المدرسة الأمريكية على اللّسانيات المرتبطة بالفعل أو العمل، وكانت ممثّلة بلسانيين أمريكيين ميّزا تاريخ اللّسانيات المعاصرة وهما إدوار سابير E. Sapir وليونارد بلومفيلد L. Bloomfield. الذي ألّف كتابه "اللّغة" في 1933 وأبرز فيه مغزى اللّسانيات الآليةL. Mécanique، بينما يتوجّه سوسور إلى الدّفاع عن اللّسانيات العقلية، ومن الشّائع بين اللّسانيين رفض لسانيات بلومفيلد إقحام المعنى في دراسة اللّغة، نظرا لفكرته المرتبطة بتطبيق التّقنيات التي كانت موجّهة إلى اللّغات الهندية–الأمريكية على اللّغة الإنجليزية، ويؤسّسس تطوّره على نظرية السّلوك المسمّاة بالبيهافيورية، ويكون كذلك مؤسّسا للمنحى التّوزيعي في اللّسانيات المعاصرة.

ترتبط التّوزيعية بتوزيع الوحدات اللّسانية في الجملة، وتوزيع الوحدة يتطابق مع مجموع السّياقات التي تتواجد فيها، في هذا الصّدد يلحّ بلومفيلد على تقطيع الملفوظ اللّساني إلى وحدات، حيث يدرس التّوزيع ويرتّب المتغيّرات، وفي نظر بلومفيلد أيضا تشتغل اللّغة بمبدأ المثير والاستجابة مثل السّلوك، وبذلك تكون مهمّة اللّساني وصف العلاقة الرّابطة بين المثير والاستجابة اللّسانيين، فبلومفيلد لا يتصوّر المعنى كتحليل للمدلول أو المتصّور الذّهني، ولكنّه يتصوّره على أساس مطابقته مع ردّ الفعل اللّساني ولا يُدرك إلا طبقا للإجابة.

وفي مقابل التّيار التّوزيعي يوجد التوّجه العقلي لنعوم تشومسكي N. Chomsky (ت. م 1928) الرّافض للسّلوكية والمتوجّه نحو فكرة الإبداعية في اللّغة، أي كيف تخلق الملفوظات، فهو يدعو إلى نظرية بإمكانها وصف وتفسير الأفعال المعروفة، والتّنبؤ بأفعال غير ملاحظة بعد، الأمر الذي دفع بتشومسكي إلى التّفكير في النّحو التّوليدي التّحويلي[1]، ويحدّد النّحو على أنّه مجموعة محدّدة من القواعد، التي تسمح بإنتاج عدد كبير من الملفوظات النّحوية في لغة معيّنة، ويؤسّس هذا التّحديد على لغة الطّفل، الذي لا يكرّر الملفوظات التي يسمعها، وإنّما يقوم بإنتاج ملفوظات جديدة لم يسمع بها من قبل انطلاقا من القواعد التي هي بحوزته، أي تلك التي اكتسبها واحتفظ بها في ذاكرته، فلم تكن دراسته للّغة تهدف إلى تحديد جوانب اللّغة ذاتها فقط، وبذلك جعلها بعض الدّارسين ضمن اجتهادات فلسفة اللّغة[2]. ومن خلال هذا التّصوّر، تمكّن تشومسكي في دراسته للّغة من إثارة بعض المفاهيم الهامّة من قبيل: الإبداعية، الكفاءة التأدية، ونظرية التّشجير في تحليل اللّغة البشرية، وبذلك يكون البحث اللّساني قد أحاط بما يتعلّق بدراسة الكلمة والجملة بطريقة علمية في البنيات الدّاخلية: الصّوتية، والصّرفية، والتّركيبية، في انتظار ظهور الاهتمام بالبنية الخارجية والعوامل المحظورة

في التوجّه البنيوي لتكتمل جوانب الدّراسة اللّسانية، أي ما يتعلّق بالنصّ، والخطاب، والتّلفّظ....

4- الانتقال من لسانيات اللّغة إلى لسانيات الخطاب والتّداولية: حدث الانتقال من دراسة اللّغة إلى دراسة الخطاب عندما أصبحت المظاهر المرتبطة بالجانب الصّوتي، والصّرفي، والتّركيبي غير كافية لدراسة اشتغال اللّغة، وتمّ الاستنجاد بعلوم أخرى كعلم النّفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة...وبذلك تصبح علوم اللّغة متعدّدة التّخصّصات إلى جانب تموقعها في أسرة العلوم الإنسانية والاجتماعية، انطلاقا من اهتمام اللّسانيات التّقليدية أي لسانيات الكلمة ولسانيات الجملة، الذي كان خاصّا فقط باللّغة، باعتبارها نتاجا اجتماعيا بمعزل عن كلّ سياق، بينما ظهور الاهتمام بلسانيات الكلام La Linguistique de la parole أعاد الاعتبار لعنصر السّياق وللذّات المتحدّثة بغاية تأويل الملفوظات والكشف عن المعنى المقصود بالفعل، الأمر الذي استدعى العودة إلى السّياق الخارجي واعتماده في دراسة اللّغة.

أفضت عودة إميل بنفنيست E. Benveniste إلى لسانيات الكلام إلى ما يدعى بلسانيات التّلفّظ، التي تحدّد هدفها بالتّعرّف على بعض مصطلحات اللّغة، التي لا تحتمل معنى إلا عندما تحيل إلى زمن محدّد لإنجاز الملفوظ (أنا، وأنت، وهنا، والآن)، وبعض الباحثين أمثال أنطوان كليولي A. Culioli يذهب إلى أنّ استخدام اللّغة لا يقتصر على نقل المعلومات من مرجع خارجي (الوظيفة المرجعية)، ولذلك طوّر نظرية تستند إلى دراسة المعنى أين هو موجود بالفعل، أي في حالة التّلفّظ، ما يسمح بالحديث عن اللّسانيات التي دعا إليها إميل بنفنيست من خلال قراءته لكتاب المحاضرات. تتأسّس هذه اللّسانيات على تحليل الأنماط التّلفّظية، التي تمثّل بدورها مجموع الوسائل اللّسانية التي يبرز بها المتكلّم ذاته في الملفوظ، ويدخل في إطار الرّسالة (الملفوظ) بطريقة صريحة أو ضمنية، مثلما يتمكّن من التموقع بالنّسبة للملفوظ، أي يتّخذ مسافة

أي ما يدعى بالمسافة التّلفّظية، التي تبرز علاقة المتلفّظ بملفوظاته، الأمر الذي سيحيلنا إلى ما يضمن هذه العلاقة من مبهمات، وألفاظ تقييمية، وأنماط....

وفي إطار التّلفّظ، يمكن إثارة ما يتعلّق بالجانب الدّلالي والتّداولي، اللذين يحدّدان المعنى بطرائق مختلفة، فالجانب الدّلالي سيوجّهنا إلى تحديد طبيعة القول من حيث الصّحة أو الكذب، بحيث إن كانت الجملة مطابقة للواقع وتوفّرت شروط الحقيقة يكون الملفوظ صحيحا، وإن كان غير ذلك فيعتبر كاذبا، بينما يتوجّه الجانب التّداولي إلى إعطاء اقتراحات أخرى مرتبطة أشدّ الارتباط بالسّياق الذي أنجزت فيه اللّغة، فهو يستند إلى نماذج تفسيرية، ذلك أنّ التّداولية تنطلق من كون مهمّة اللّغة ليست فقط وصف الواقع ولكن التّأثير فيه أيضا، فيمكن تلخيص المراحل الأساسية التي مرّت بها اللّسانيات بهذا الشّكل:

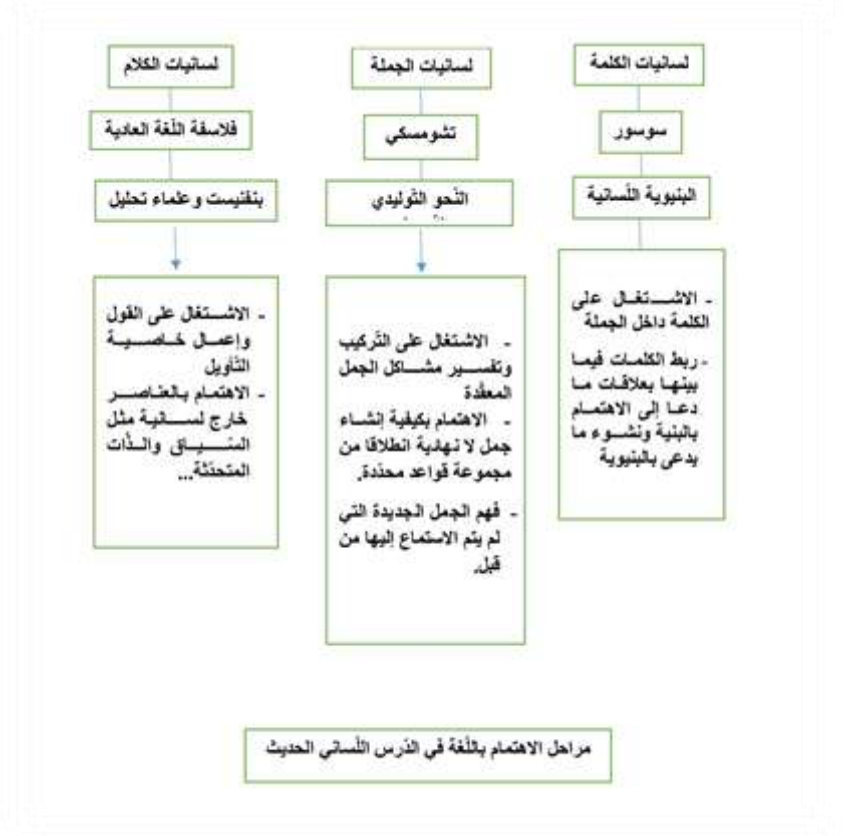

يلخّص الجدول المراحل الأساسية التي مرّت بها دراسة اللّغة بعد ظهور المنهج العلمي السّوسوري، والملاحظ أنّ اللّسانيات ما بعد البنيوية هي تلك التي تعيد النّظر في محظورات سوسور، وتشتغل على القول من ناحية البنية الدّاخلية والبنية الخارجية، الأمر الذي سمح بظهور لسانيات النّص ثمّ الخطاب، وتتواصل الدّراسة حتى ظهور التّداولية في 1938 مع شارل موريس، ومعها يتمّ الاهتمام بظاهرة استعمال وتأويلها بالبحث عن الذّات المتحدّثة في كلّ ممارسة لغوية والعناصر التي تستحضرها أثناء التلفّظ.

عالج الكاتب قضيّة اللّسانيات التّداولية من عدّة جوانب من بينها ما يتعلّق بالمرجعيات الفكرية والثّقافية، إذ يستند التّفكير التّداولي إلى عدّة مصادر ذكرها الباحثون وهي موزعة بين الفلسفة والمنطق وبعض نظريات اللّسانيات الحديثة؛ ونذكر منها:

أ-فلسفة اللّغة: تشمل بحوث رواد فلسفة اللّغة العادية والفلسفة التّحليلية، مقابل مدرسة اللّغة الشّكلية/الصّورية، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللّغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع، ومن الذين اشتهرت بحوثهم في هذا التّوجّه نجد: فيتجنشتاين L. Wittgenstein، وأوستين J- Austin، وبورسC. S. Peirce، وموريس Charles W. Morris. اهتمّ فيتجنشتاين بدراسة اللّغة والفكر والعلاقة الرّابطة بينهما، والتّأكيد على عدم وجود للغة فردية أي مخصّصة لفرد واحد[3]، أي أنّ المجتمع يفرض اللّغة على الأفراد، وبذلك يكون للتّواصل معنى مميّز. وفي التّوجّه ذاته، يذهب أوستين في كتابه " كيف ننجز أفعالا بالكلمات" إلى أنّ اللّغة تتوجّه في اعتقاده من وظيفة الاتصال إلى وظيفة التّأثير وتغيير السّلوك الإنساني[4]، فما دامت اللّغة تميّزها الوظيفة التّواصلية فذلك ينفي عنها صفة الفردية التي تحدّث عنها فجنشتاين، والتوجّه ذاته نجده عند بورس، إذ يربط فهم اللّغة بحال التّواصل، ويقرن المعنى بظروف الاستعمال على نحو ما مرّ مع فيتغنشاين وأوستين. أمّا موريس فاللّغة في نظره نظام من السّلوك؛ ذلك أنها تهيّئ المتلقي إلى ردّة فعل ما بناء على ما يستقبله من أبنية لغوية، وبذلك جعل التّداولية جزءا من السيميائية التي تهتمّ بمعالجة العلاقة بين العلامات ومؤوليها.

ب- النّظريّات اللّسانية المعاصرة: يشير المؤلّف إلى أنّه منذ بداية نشاط نقد البنيوية في نهاية القرن التّاسع عشر، بدأ تشكيل الاتّجاهات اللّسانية المختلفة التي أسهمت في تكوين المعرفة التّداولية عموما، وسرعان ما نشط البحث السيميائي، والتأويل، والبحث في المعنى، بصورة لم تعرف مثلها من قبل، وبدأ تيار ما بعد البنيويين يبحث في حقيقة

المعنى والتّصوّرات المرتبطة به ضمن الأنظمة الفكرية، والفلسفية، واللّغوية، والأدبية، واتسع موضوع البحث من النصّ الأدبي إلى الخطاب الفلسفي، والديني...

وانطلاقا من هذه التّصوّرات الجديدة الخاصّة بالدّرس اللّساني المعاصر المنقسم إلى درس بنيوي ودرس ما بعد بنيوي، يتوّجه الباحثون اللّسانيون وفلاسفة اللّغة العادية إلى التّيار التّداولي، الذي سيحاول استكمال معالجة الحلقات المفقودة في اللّسانيات البنيوية، رغم البداية التي لم تكن سهلة بسبب الكثير من العوائق المنهجية، والمفهومية، والإجرائية، ومجال الاشتغال، إذ سيتولى معالجة المهمل في الدّراسات اللّسانية البنيوية بخاصّة، ومن أجل هذا الغرض كان لزاما على المؤلّف تحديد التّداولية والتّعريف بها. ورغم هذا التّطوّر المنهجي في دراسة اللّغة عند اللّسانيين والفلاسفة، فإنّ "أغلب القائلين بالتّداولية يثمّنون الفتوحات الألسنية منذ دو سوسير De Saussure لجهة أنّ نظرتها إلى اللّغة نظرة ثورية، على الأقل فس مستويين إثنين: من حيث إنّ اللّغة مستقل عن الواقع ...وتباين الآفاق الادراكوية التي تعبّر عنها كلّ لغة وتميّزها عن الآفاق الأخرى..."[5]، وفي ذلك إشارة إلى امتداد الاهتمام باللّغة بمناهج مختلفة ومتكاملة في الآن ذاته.

5- التّداولية وأثرها في الدّرس اللّساني العربي: طرح صاحب الكتاب إشكالية تحديد مفهوم التّداولية الذي قال فيه جورج يول:" التداولية مستساغة لأنّها تتعلّق بالكيفية التي يتمكّن من خلالها النّاس فهم أحدهم الآخر لغويًا، ولكنّها قد تنقلب لتكون ميدانا دراسيا مُحبطا لأنّها تتطلّب منّا فهم النّاس وما في عقولهم"[6]، فقد أشار إلى أنّ التداولية ما هي إلاّ الطريقة التي تمكّن الأشخاص من فهم بعضهم بعضًا في حدود التوصّل إلى ما في العقول والأذهان، والاجتهاد في ذلك ما دام الفهم مرتبط بمقاصد المتكلّم. عاد المؤلّف إلى بعض الباحثين منهم (دومنيك مانقونو D.Mainguenau) الذي يؤمن بصعوبة الحديث عن التّداولية، لأنّ هذا التّعبير يلمّ بالعديد من التّيارات من علوم

مختلفة تتقاسم عددا من الأفكار والتّصوّرات... واللّسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتّداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع، والمناطقة، وعلماء النّفس... وتتجاوز اهتماماتها ما يتعلّق بالمعنى والتّواصل والعلاقة الرّابطة بينهما، وتهيمن على موضوع الخطاب المنطوق وتصبح نظرية عامّة للممارسة اللّسانية البشرية. ومن خلال هذا التّصوّر المرتبط بحدود التّداولية، أدرج الدكتور بوجادي عدّة تعريفات يرتبط كل منها بمجال معين، وهي مرتبطة بحقل نشأة التّفكير التداولي، وموضوع التّداولية ووظيفتها، والتّواصل والأداء، وعلاقتها بعلوم أخرى، وبما تشمله من اتجاهات، في محاولة النّظر إليها من جميع الجوانب.

-**تصوّرات تداولية معاصرة:** في تحديد المسار الذي اتخذته التّداولية في تطوّرها المصطلحي والاجرائي، عرّج الدكتور بوجادي على تصوّرات أهم العلماء اللّذين قدّموا أفكارا مميّزة، ومن بينهم: ف. أرمينكو F.Armengaud [7] من خلال كتابها "المقاربة التداولية"، الذي حدّد فيه أنواع التّداوليات وما يميّزها عن بعضها بعض، علما بوجود عدد آخر من التّداوليات الأخرى التي يمكن أن ترتبط بالجانب النّفسي، أو الاجتماعي، أو الحوار، أو التّضمين... وباختصار كلّ ما يرتبط بممارسة اللّغة البشرية من جميع جوانبها وسياقات إنتاجها وتأويلها. كما يشير المؤّلف إلى هانسون N. R. Hanson، الذي قدّم تصوّرا مختلفا كثيرا عن تصوّرات زملائه، إذ يقسّم التّداولية إلى درجات، وعن طريقها يمكن دراسة المضمر من القول أثناء الاستعمال، والاحتكام إلى مبدأ التّعاون الذي يسهم في إنجاح العملية التّخاطبية، بالتّركيز على ما يفرض على المخاطِب من قوانين وقواعد (بديهيات المحادثة الجرايسية)، بهدف تحقيق إنجازية الأقوال في الأخير والوصول إلى درجة تأثيرية ما في المتلقي ضمن معطيات سياقية معيّنة. أمّا العودة إلى جون سرفوني J. Cervoni، فستفتح الأبواب على وجهات نظر متعدّدة عند كلّ من أوزوالد ديكرو O. Ducrot، وألان بيروندونير A. Berrendonner ، وروبير مارتن

R. Martin. اهتمّ ديكرو بعلاقة القول بغير المقول وإشكالاتها في حالتي التّصريح والتّلميح، بينما في مسألة القول في مقابل الفعل، التي عالجها أوستين في إطار الإنجازية وما يخلّفه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي، نجد بروندونيير يناقض الفكرة محاولا نسفها من خلال قوله أنّ القول لا يعني الفعل، وبذلك يمكن استبعاد فكرة أوستين التي أسّست للأفعال الكلامية. والعودة إلى الجملة عند روبير مارتن في كتابه "من أجل منطق للمعنى"، تبيّن أنّها ليست مجالا للتّداولية، لأنّها تتداخل على مستوى الملفوظ مع أبنية متعدّدة أخرى.

6- التّداولية في نظر الباحث اللّساني الجزائري: الحديث عن التّداولية في القرن الواحد العشرين هو حديث عن تطوّر حتمي في الدّراسة اللّغوية، التي انطلقت من سوسور في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. انطلقت التّداولية في مسارها المفاهيمي من فلسفة اللّغة العادية التي جعلت النّظر إلى اللّغة مرتبطة بالاستعمال الفعلي في الواقع بما يفرضه هذا الاستعمال من شروط وملابسات تضمن نجاح الفعل اللّغوي أو فشله.

شهدت التّداولية انطلاقة مهمّة من حيث المفاهيم والإجراءات في القارة الأمريكية مع الفلاسفة الأنجلوساكسونيين أمثال فجنشتاين، وأوستين، وسورل، وجرايس، وانقسمت في اهتماماتها إلى ثلاث درجات، تسعى جميعها إلى دراسة اللّغة من زاوية معيّنة، فتحدّدت بذلك الأفعال الكلامية، والحجاج، والتّلفّظ، والتّضمين...وكانت لها آثار في الدّراسات والبحوث الغربية والعربية، إذ أنّ الدّراسات الفرنسية ستشهد هي أيضا نقلة نوعية في هذا المجال من خلال كتاب إميل بنفنيست E. Benveniste الموسوم Problèmes de linguistique générale الذي سيعيد فيه صاحبه الاعتبار للسانيات الكلام، ويصبح هذا الأخير مركز اهتمام الباحثين المهتمّين بالفكر السوسوري وإشكالات نظريته، مثلما أصبحت منطلقا لدراسات مغايرة تهتمّ بالإنسان والذّات البشرية وما يحيط

بها من مقولات ومعالم، وبذلك يمكن الحديث عن اللّسانيات ما بعد البنيوية التي ستعيد الكثير من المفاهيم المهمّلة إلى ساحة الدّراسة، وينظر إلى اللّغة من ناحية الاستعمال والممارسة الفعلية في الواقع، ولذلك يقول جاك موشلر J.Moeschler:"الشّيء غير القابل للمعارضة اليوم، هو عدم توقف الفهم العام للّغة الطبيعية عند المظاهر الوصفية"[8]، فعلا هناك تجاوز للوصف بفضل المنحى التّداولي الذي توجّهت إليه الدّراسات اللّسانية الحديثة التي تبحث في الاستعمال و في أحوال التّخاطب، يقول مسعود صحراوي: "التّداولية نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفّظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"[9].

ومثل هذا التّصوّر ستشهده اللّغة العربية، حين يتوجّه الباحثون العرب إلى البحث عن المفاهيم التّداولية في تراثهم اللّغوي من خلال استنطاق مدوّناتهم الثّرية شكلا ومضمونا، فتعرف التّداولية منهجا جديدا لدراسة اللّغة وتستثمر أدواتها في تحليل النّصوص بإدخال ما كان مهملا ومرفوضا في الدّرس البنيوي المعاصر، ومن بين الباحثين العرب اللّذين حاولوا التّعريف بالتّداولية وتقريبها إلى البحث اللّغوي العربي نجد الدكتور خليفة بوجادي•، الذي وسم كتابه بمصطلح التّداولية تنبيها إلى مركزيته وعالج في هذا الكتاب المعنون "في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم" ما يرتبط بالتّداولية من قضايا وإشكالات، فكان المحتوى ملتقى لعدّة معارف لسانية بنيوية ولسانية ما بعد البنيوية، ونخصّ بالذّكر هنا المجال التّداولي الذي كان في وقت صدور الكتاب مجالا جديدا سعى الباحث بوجادي إلى التّعريف به بتبسيط مفاهيمه ونقلها من اللّغة الأجنبية بشكل يجعل القارئ العربي يرحّب بها ويطمئن لمحتواه المعرفي الجديد، رغم أنّ في صفة الجدّة ما يقال، إذ كثيرا ما أقرّ الباحثون العرب بأسبقية وجود المنحى التّداولي في دراساتهم التّراثية، الأمر الذي يبقى بحاجة إلى

الوقوف عليه في مثل هذه المحاولات التي تربط الحاضر بالماضي، ومن أجل هذا الغرض وقع اختيارنا على الكتاب السّالف الذّكر.

نجد في كتاب " في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم" محاولة لربط اللّسانيات التّداولية باعتبارها وافدا جديدا بالدّرس اللّغوي العربي القديم، الإشكالية التي يثيرها العنوان في حدّ ذاته، وفيما يهمّ هذا البحث بالذّات هو الوقوف على بعض العناصر المرتبطة بالإشكالية الأولية وما تفرّع عنها من أسئلة ينبغي الإجابة عنها من خلال هذا العرض.

وللوصول إلى النّتائج المفترضة آثرنا الوقوف عند القضايا الأساسية التي عاد إليها المؤلّف في كتابه لنتمكّن من إلقاء الضّوء على كيفية التّعامل مع التيّار التّداولي وعلى مظاهر التقائه مع الدّرس اللّغوي العربي، وكانت أهمّ المحطّات كالآتي:

7- مراجعة في القضايا التّداولية واستشراف آفاقها: لقد حاول المؤلّف الإلمام بقضايا التّداولية، وبالموضوعات التي صارت محدودة ضمن العنوان الكبير "اللّسانيات التداولية"، ويركّز في فحص مدوّنة اللّسانيات التّداولية عموما على تحديد خمس موضوعات تكاد تكون أساسية فيها وهي أفعال الكلام التي حصرها عند أوستين وعند سورل، ليتوجّه بعد ذلك إلى تحديد كلّ من: التّلفّظ، والحجاج، والتّفاعلية والسياق، ثمّ الوظائف التّداولية، وهي مباحث تميّزها ما تحمله من مفاهيم تمزج فيها بين ما هو بنيوي وغير بنيوي، إذ تحاول البحث في كيفيات ارتباط الصيّغ الصّرفية المشكّلة للجمل بالدّلالات ثمّ البحث عمّا تبلوره من معاني صريحة وضمنية[10]. أمّا في علاقة التّداولية بالتّخصصات الأخرى، فإنّ المؤلّف قد حدّدها بما يحيط بها من تخصّصات أخرى مثل اللّسانيات، فكان البحث في: علاقتها باللّسانيات البنيوية، وعلاقتها بالنّحو والنّحو الوظيفي، وعلاقتها بعلم الدّلالة، وعلاقتها باللّسانيات النّفسية، وعلاقتها باللّسانيات

الاجتماعية، وعلاقتها باللّسانيات التّعليمية، وعلاقتها باللّسانيات النصّية وتحليل الخطاب، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّنا بصدّد تقديمها فقط.

تحيل مراجعة كتاب "في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم" لخليفة بوجادي باعتباره مرجعا مهمّا في التّداولية إلى عدّة إشكالات تنمّ عن كيفيات فهمنا للمباحث المرتبطة بالمجال التّداولي سواء تحدثنا عن الأفعال الكلامية، أو الحجاج، أو المضمرات...وإن أقرّ كثير من الباحثين بضرورة قراءة التّراث اللّغوي العربي بمثل هذه الأدوات الإجرائية الجديدة، فإنّ ذلك لا يزيده إلا ثراء وأبعادا أخرى لما يحمله أصلا، ذلك أنّ التّراث العربي لابد أن يكون مشتغلا بهذه المفاهيم الجديدة بمصطلحات عربية محدّدة، أو يكون على دراية بها دون الإفصاح والجهر عنها، إذ بقيت تلك المفاهيم مبثوثة في دراسات متنوّعة ذات جودة عاليّة من حيث الوضع والاستعمال ومن حيث الدّراسة والتّحليل، وإثارة موضوع إشكالات التّداولية في الدّرس اللّغوي المعاصر يجعلنا نتوقف عند المنجز منه والبحث عن آفاقه في تطوير اللّغة العربية دراسة وتحليلا، ومن أجل هذا الغرض آثرنا الكشف عن بعض المواضع التي يمكن للتّداولية أن تفيد بها دراسة اللّغة البشرية عامّة والعربية بخاصّة.

جعلت التّداولية اللّغة العربية تهتم بتفسير الفرق والفجوة بين معاني الكلام ومعاني مقاصد المتكلم، فهناك مسافة واضحة بينهما، فإن احتملت الكلمات دلالات عامّة تحتفظ بها المعاجم اللّغوية، فإنّ الاستعمال سيجعل المتكّلم يوظّفها لمقاصد محدّدة تختلف من موقف تواصلي إلى آخر، ومن غرض اجتماعي إلى آخر، وبذلك تنشأ فجوة بين المعاني الأصلية والمعاني المرتبطة بالمقاصد الكلامية. ويمكننا القول في هذا الإطار أنّ التّداولية جعلت اللّغة العربية فضاء لدراسة مختلف الشّروط التي تتعلّق بالتّداول اللّغوي بالنّسبة إلى السياق والمقام، باعتبارهما شرطين أساسيين في الطريقة التي يحدث بها التّواصل وإنتاج الدّلالة والمعنى بين مستعملي اللّغة العربية في علاقاتهم التّفاعلية،

إذ أنّ التّواصل اللّغوي[11] لا يتم فقط بالاستناد إلى الكفاءة اللغوية، وإنّما بتوفّر مجموعة من الشروط غير اللّغوية التي تسهم في إنجاح الممارسة اللّغوية الفعلية.

تمكّنت التّداولية أن توجّه اللّغة العربية في هذا المجال وذلك بدراسة استعمال اللّغة، وشرح كيفية حدوث العمليات الاستدلالية، ومن خلال ولوج هذه المظاهر الجديدة، تبيّنت بفضل التّداولية أسباب أفضلية التّواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل المباشر والحرفي، وبذلك تكون التّداولية قد جعلت اللّغة العربية مثل اللّغات الأخرى تهتمّ بالمعنى الاستعمالي بدراسة المنطوق اللّغوي، الذي ينتجه المتكلّم في ظروف معيّنة بتحديد ما يتّصل به من عناصر وعوامل وتحديد أهدافه أو مقاصده، والنّظر إلى علاقته بالمتلقي، وتعيين ما يرتبط بهذا الأخير من عناصر أخرى تؤثّر فيه كالإشاريات، والافتراضات المسبقة، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، بالاستناد إلى حقول معرفية مهمّة في دراسة النّتاج اللّغوي البشري ومنها فلسفة اللّغة، والحجاج، وتحليل الخطاب.

يمكن القول إنّ التّداولية تعدّ تيّارا لغويّا حاول تدارك النّقائص التي وقعت فيها الدّراسات اللّغوية السّابقة وحاولت تجاوزها إلى أبعد من ذلك، فالدّراسات البنيوية على سبيل المثال توقفت عند حدود بنية اللّغة وتوقفت دراستها كذلك عند حدود الجملة، فجاءت التّداولية كتيار جديد حاول فيه تصحيح مسار الدّرس اللّغوي، وتجاوز حدود الجملة والنص إلى حدود الخطاب باعتباره وحدة أكبر في البناء والتّحليل اللّغويين، وتبنّيها للسّياق وما له من تأثيرات في الاستعمال اللّغوي للمتخاطبين، وما له من دور في توجيه العملية التّخاطبية وتحديده لاستراتيجيات الخطاب، التي لا تتحدّد إلا من خلال السياق الدّاخلي والخارجي للنصّ، واعتماد التّداولية منهجا لغويّا ينظر فيه إلى اللّغة أثناء الممارسة الفعلية واعتماد المقاربات والكفاية التّواصلية التي تُعبّر عن الشّكل الطّبيعي للتّواصل البشري والجانب الوظيفي للّغة[12]. وبهذا التّصوّر نجد التّداولية

باعتبارها إطارا لغويّا محدّدة عند إلويار R. Eluard على أنها "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللّغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي: المتكلمون، والسياق (الحال/المقام)، والاستعمالات العادية للكلام (أي الاستعمال اللّغوي والعادي للّغة في الواقع)"[13].

وإلى جانب من حاول إعطاء التّداولية تحديدا دقيقا هناك من يرى أنّها تيّار في قمة أوجّه لم يتحدّد ولم يتم بعد الاتّفاق على تحديد افتراضاتها واصطلاحاتها، فهي تقع في ملتقى الطرق حيث تجتمع حقول معرفية متعدّدة: اللّسانيات، والمنطق، والسّميائيات، والفلسفة، وعلم الاجتماع اللّغوي، وعلم النّفس اللغّوي. والتقاء التّداولية مع العديد من الفروع العلمية الأخرى يعني أنها تؤثّر فيها وتستفيد منها، ومن بين هذه الحقول المعرفية نجد الإثنوميتودولوجيا التي تهتم بتحليل الحديث والوقوف على مختلف الاستراتيجيات التي يعتمدها المتكلّمون، والاثنوغرافيا التي أخذت منها مفهوم الكفاية التّواصلية وهي القدرة اللّغوية، التي يمتلكها المتكلّمون وتمكنّهم من التّحكم في قواعد الأداء اللّغوي، بما في ذلك القدرة على توظيف الآليات اللّغوية أثناء الاستعمال، وأخذت من علم النّفس اللّغوي العلاقات بين المتكلّمين وتحديد معوّقات التّواصل، كما أخذت من علم الاجتماع اللّغوي بعض طرائق تحليل الكلام وفق المقام اللّغوي .

وإلى جانب هذه الحقول المعرفية المعاصرة، أسهمت التّداولية باعتبارها تيّارا لغويّا منهجيا في التّأصيل اللّغوي وتحليل المدوّنات والممارسات اللّغوية، التي يمكن أن نختار منها ما يتعلّق بالجانب التّعليمي، الذي يتطلّب أكثر من غيره من المجالات إلى ممارسة اللّغة كتابة ونطقا، فيمكن حصر استفادته من التّداولية باتخاذه المقاربة التّواصلية في تعليمية اللّغة[14]، إذ إنّ قدرة الفرد على تعلم اللّغة واكتسابها واستعمالها تتجاوز قدرته على الوصف النّظري، فاللّغة استعمال وانجاز لفظي وفعلي يبرز من

خلال المضامين اللّغوية التي تنقلها الأفعال الإنجازية، التي يحتاج إليها المعلّم في ممارسته العملية التّعليمية، وما يتجسّد أيضا في قدرة الفرد على تعلّم اللّغة وأدائها وتجسيد الأفعال اللّغوية بمختلف أصنافها وأبعادها.

وفي علاقة اللّغة العربية بالمنهج التّداولي عموما تبنّي لنظرية أفعال الكلام التي عرفت عند العرب بالأغراض الإنشائية، فتمثل الأفعال الكلامية جانبا هاما من السّلوك اللّغوي، الذي تتحوّل فيه الأقوال إلى أفعال كلامية تتقيّد بالإنجاز والفعل، وهناك من الأقوال ما يحمل سلطة فعلية، وترد الأفعال الكلامية في صيغ لغوية متعدّدة مثل التوجيه للأمر، وتقديم وعود، وتهديدات، أو طرح الأسئلة، أو الاستفهام....؛ فهذه الأفعال تتحقّق في الواقع على شكل صيغ لغوية وفق الموقف الكلامي أو وفق ما يتماشى مع استراتيجية الخطاب التي يتبناها المخاطب تبعا لمواقف كلامية معيّنة يتحدّد فيها الزمان والمكان والمقام التواصلي والخطابي، أو ما يعرف بالجهاز الصّوري للتّلفّظ.

والأمر نفسه يظهر في مجال التّأويل، حيث عملية تأويل الكلام تتطلّب مراعاة المواقف الكلامية (وضعيات الخطاب)، فهناك من الأفعال الكلامية ما يتحقّق في صيغها الدّالة عليها أو ما ورد بصيغة صريحة مباشرة كالاستفهام، ومنها ما يخرج عن صيغها ملتمسة في ذلك أغراضا خطابية أخرى مضمرة في القول أو ضمنية مثل قولنا: "هل بمكانك التّفكير في مشروع بحث قيّم؟ "فهذه الجملة وردت بصيغة سؤال أو استفهام حقيقي يستهدف منه الحصول على جواب، أو قد تخرج إلى غرض آخر وهو الطلب، طلب إنجاز المطلوب، والشيء نفسه نجده في جملة "أعد كتابة مقالك العلمي؟ فقد وردت هنا بصيغة أمر إلاّ أنّه قد يخرج لأغراض أخرى كدعوة للقيام بعمل جيّد أو كنصيحة يطلب منها إنجاز الأفضل.

ومن الإشكاليات التي عرفتها التّداولية وأثارها صاحب الكتاب ما يتعلّق أولا بمصطلحها، الذي أثار جدلا كبيرا في أوساط الباحثين العرب بخاصّة، إذ نُقل إلى اللّغة العربية بمصطلحات متفاوتة الدّقة من حيث المفهوم، فتعريف التّداولية كان صعبا بالنسبة للدّراسات اللّسانية الحديثة حين أقصت عامل السّياق غير اللّغوي من دراسة اللّغة بنيويا، وتوجّهت نحو دراسة الجملة والنصّ داخليا، فالدّراسة التّداولية جاءت على إثر ذلك لتخوض في هذا العنصر المهمل في الدّراسة البنيوية، بالبحث عن تحديد الدّلالات وفهم تحوّلاتها وتغيّراتها بسبب استعمالها في مواقف وظروف اجتماعية محدّدة، فتوجّهت التّداولية إلى الاهتمام بما تحدثه التّفاعلات التّخاطبية من أثر في العملية التّواصلية، ودراسة جميع الملابسات غير اللّغوية أو السّياقية المرتبطة بعملية التّلفّظ، التي تعدّ منبع نشوء الدّلالات وإنتاجها وما يرتبط بها من مدلولات متعلّقة بالسّياق، وباجتماع هذه العناصر تتبلور فكرة الممارسة التّداولية التي تحتكم إلى معطيات لغوية وأخرى غير لغوية تلمّ بجوهر الإنسان في ممارسته للّغة، وهي المعالم ذاتها التي ميّزت الدّرس العربي القديم، يقول خليفة بوجادي :"أهمّ ما يميّز الدّرس اللّغوي العربي القديم أن يقوم على دراسة اللّغة أثناء الاستعمال منذ بدايته، ومثال ذلك ما يذكره السّيوطي في اللّغة أنّها تؤخذ استعمالا لا قاعدة... ويظهر من خلال ذلك قيمة الاستعمال وما تتداوله العرب في اللّغة وأهميّته في تحديد أساليبها وطرق أدائها"[15].

إضافة إلى ما ذُكر، هناك ما يرتبط بالظواهر القولية، إذ يختلف الباحثون في تحديدها، فعند بعضهم تعدّ أقوالا متحوّلة إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرّد توظيفها، وعند بعضهم الآخر هي الآثار اللّغوية التي تنتج من التّخاطب وترتبط بمقاصد المخاطَب وذاتيته، وهي تشمل المبهمات الشّخصية والزّمانية والمكانية، مثلما يتمّ النّظر في جوانب القول المختلفة الصّريحة والضّمنية التي بلورها أوستين في نظرية أفعال الكلام من خلال تقسيمه الثّلاثي. ولتحقيق فعل الانجاز يشترط منظرو التداولية توفّر

عامل القصد أو القصدية، فإذا صدر قول من شخص ما يرفض في قرارة نفسه دلالته فذلك سيعدّ فعلاً غير متحقّق. وهناك أفعال لا قولية جمعها أوستين في خمسة أنواع هي: الحكميات، والتّنفيذيات، والوعديات، والسلوكيات، والعرضيات، إلا أنّ الإشكال الذي وقع فيه "أوستين" هو أنه لم يصنف اعمالاً بل صنّف أفعالاً بتحليل الدّلالة مع المعنى. مثلما اقتفى سورل J.P. Searle لنهج أوستين بتطوير مفاهيمه حول تقسيم الأفعال الكلامية وتصنيفها والتّركيز على الاستدلال، قائلاً إنّ المتكلّم يستطيع أن يبلغ المخاطب أكثر مما يقوله باستناده الى قدرات المخاطب العقلية والاستدلالية.

وفي مقابل هذه المفاهيم التي تدعو إلى اعتبار كلّ قول فعلا وإذا انطلقنا من مفهوم بروندونر[16] Alain Berrendonner للفعل الكلامي إذ يقول: " إنّ القول هو ألاّ نفعل شيئا" فإنّه بذلك يؤكّد أن القوّة اللا قولية ليست سوى اشتقاقا يقع لحظة التّلفظ في سياق معيّن، وهو بهذا الصنيع يعود إلى نظرية أكثر تقليدية تعتبر اللّسان تمثيليا (أي مجموعة من الأسماء تقابل مجموعة من الأشياء في هذا الكون). ولمساندة هذا الرأي نجد فليب بلونشيه Ph. Blanchet يعتقد في عدم شرعية العمل الأوستيني، فهو الذي يقول: "وحتّى مفهوم العمل لم يوظّفه أوستين ولا أتباعه بشكل صريح" [17]، وهو ما سمح لبروندونر بمناقضة الفكرة، مقدّما لها أبعاداً أخرى لم تكن واردة في أعمال باحثين آخرين، إذ يعتبر "العمل" سلوكا جسديا، فالقول هو عكس الفعل في منظور بروندونير، الأمر الذي يبرّره بقوله:" كفى أقوالا، نريد أفعالاً"[18]، وبالتالي عكست الآية من حيث اعتبار الأفعال الإنشائية تعويضا للعمل بأقوال على عكس ما ذهب إليه أوستين في كتابه الشّهير Quand dire c’est faire إذ القول هو الفعل.

وإذا كانت التّداولية مرتبطة بالمنحى اللّساني، فإنها تتوافق ومفهوم الكفاءة اللّغوية الذي قال به تشومسكي، إلا أنّها تعترض على تعامله مع اللّغة بوصفها بنية مجردة أو قدرة ذهنية يمكن عزلها عن وظائفها ومستخدميها، أي أنّها لم تأخذ في الاعتبار الواقع

الاجتماعي للاستعمالات اللّغوية. وتبقى مهام التّداولية وانشغالاتها كونها حمولات ينظر إليها من خلال المتكلّم، حيث تقدّم ما تجاوزته اللّسانيات أو غضّت الطّرف عنه في درسها اللّغوي وما أظهرته الدّلالة، من حيث أنّها اهتمّت بعنصر البنية وأهملت الجوانب الأخرى من القول، ويمكن إيجازها في النّقاط الآتية:

-توضيح أسباب فشل المعالجة اللّسانية البنيوية في دراسة الملفوظات.

-دراسة استعمال اللّغة التي لا تدرس البنية اللّغوية ذاتها، إنّما تهدف إلى دراسة اللّغة في السّياقات المختلفة.

-شرح كيفية حدوث العمليات الاستدلالية واشتغالها في معالجة الملفوظات.

-تحديد أفضلية التّواصل غير المباشر على التّوصل المباشر.

-إيجاد روابط القواسم المشتركة بين علمي اللّغة والتّواصل وحقول معرفية أخرى.

-تحديد الشروط اللازمة لنجاح الأقوال اللّغوية في موقف تواصلي معيّن.

-دراسة كيفية ربط نجاح الملفوظ ببنية الخطاب وتفسيره أثناء التفاعل التّواصلي.

-الإلمام بمكونات التخاطب وتحديد تأثيرها في المقول من ناحية التّفسير والتّأويل.

من خلال هذه النّقاط وما ذهب إليه باحثون آخرون في البعد التّداولي للّغة، يتّضح جليّا أنّ كلّ الدّراسات المنجزة تحاول الكشف عن كيفيات استعمال اللّغة في مواقف اجتماعية محدّدة، الأمر الذي استند إليه صاحب كتاب "في اللّسانيات التّداولية" وباحثون آخرون ممّن توّجهوا إلى المنحى ذاته، ومحاولة التّأصيل في هذا الكتاب وغيره من الكتب ليست إلا محاولة تثبيت فكرة وجوب النّظر إلى اللّغة في أثناء الاستعمال، باعتبار هذا الأخير الكاشف والنّاقل لكلّ المستويات اللّغوية الصّوتية، والصّرفية، والتّركيبية، والدّلالية، وهي مستويات لا يمكن أن تكون جاهزة للدّراسة إلا من خلال توظيفها في الممارسات اللّغوية المختلفة.

8- خاتمة: تعتبر التّداولية آخر المناهج اللّغوية المعاصرة؛ التي تمخضت عن الدّراسات اللّغوية والتي جاءت كحتمية لغوية حاولت فيها استدراك النّقائص وسدّ الثّغرات التي وقعت فيها الدّراسات والمناهج اللّغوية السّابقة، إذْ حاولت من خلالها توسيع نطاق دراستها حول العديد من القضايا اللّغوية، وإعادة النّظر في اللّغة التي يجب ألا تتوقّف دراستها عند حدود الدّراسة المغلقة التي تبنتها اللّسانيات البنيوية، وإنما يجب تجاوز ذلك بالبحث في الاستعمال اللّغوي والوظيفي والتّواصلي لهذه اللّغة.

والاهتمام بالمنحى التّواصلي للّغة وظهور التّداولية أعاد الاعتبار للقصور الذي عانت منه المدرسة البنيوية، فقد استطاعت أن تنقل الاهتمام من اللّغة المجردة إلى اللّغة المستعملة من قبل المتكلم، ليتحوّل الدّرس اللّساني العربي من الاهتمام بالأبنية اللّفظية المختلفة إلى درس يهتمّ بالإنجاز اللّغوي، والتأكيد على ضرورة ارتباط المتكلّم أثناء ممارسته اللّغوية بالسّياق الخارجي ارتباطا وثيقا، ممّا يؤثّر في تحديد المعنى الذي يقصده المتكلّم في سياق معيّن، وبذلك يمكن الحديث عن تمكّن التّداولية بفضل إجراءاتها أن تتجاوز المنهج البنيوي في دراسة اللّغة البشرية، وتتجاوز المعالجة اللّسانية البنيوية في معالجة المنطوقات، المسار الذي احتكمت إليه الدّراسات اللّغوية العربية التي انطلقت من البحوث البلاغية والنّحوية وأسّست عليها جلّ الدّراسات الأخرى، ويقي على الباحثين ربط الجانب الاستعمالي أو التّداولي للّغة بهذه البحوث ورصد علاقاتها بها وتحاقلها معها، دون تجاهل جهود العرب الصّريحة وغير الصّريحة في البحث عن عناصر الاستعمال وعوامله في الكثير من دراساتهم.

يبدو أنّ الإشكالات التي تطرحها التّداولية مرتبطة بعدّة معالم سواء من حيث المصطلح أو الاهتمامات، فالتّداولية نشأت عند الغرب وهي نتيجة اختلاف معرفي عند عدد من الباحثين من مشارب ومرجعيات مختلفة عقلية، ووظيفية، وبنيوية، فجاءت كردّة فعل عليها وعلى إشكالية إزاحة العنصر البشري المنتج للّغة، فجعلت له مكانة

ووسمته بصانع الخطاب، صاحب مقاصد محدّدة ينبغي على المخاطَب الكشف عنها، ما يقتضي تغيّر الدّلالة في حضور السّياق، وهي المنطلقات التي سمحت للباحثين بالتّركيز على المنحى الاستعمالي في اللّغة، والتّركيز على ما قدّمته البلاغة والتّراكيب في محاولة تأصيل هذه المفاهيم في الدّرس اللّغوي العربي، الذي لم يخرج من قاعدة وظيفية اللّغة وأهميّة تداوليتها.

9- قائمة المراجع:

1-الطاهر، بومزبر، التّواصل اللّساني والشّعرية، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، ط1، منشورات الاتلاف، الجزائر 2007.

2-جان مارك فيري، فلسفة التّواصل، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2006.

3-جورج يول، التداولية، ترجمة قصيّ العتابي، ط1، دار الأمان، الرباط 2010.

4- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللّغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1985، ص 235، وينظر كذلك: نعوم تشومسكي، المعرفة اللّغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة محمد فتيح، ط1، دار الفكر العربي للطبع والنّشر، القاهرة 1993.

5- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر 2009.

6-عبد الحفيظ دحماني، نجيدة ولهاصي، المقاربة التّواصلية من التّنظير اللّساني إلى الفعل التّعليمي، التّواصل اللّغوي اللّفظي في السّنة الثّالثة متوسّط أنموذجا، مجلة اللّغة العربية، المجلّد 25، العدد 1، المجلس الأعلى للّغة العربية 2023.

7- عبد الرحمان شولي، فلسفة المعنى في الفكر واللّغة والمنطق، نظرة إلى جدلية الدّوال والمدلولات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 2016.

8–فليب بلونشيه، التداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتّوزيع، سوريا 2007.

9–مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير، الجزائر 2008.

10–مصطفى غلفان، اللّسانيات البنيوية، منهجيات واتّجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان 2013.

11- A.Berrendonner, Eléments de pragmatique linguistique, Editions Minuit, Paris 1981.

12-F. Armengaud, La Pragmatique, Presses universitaires de France, Que sais-je ? No 2230, 1985 ; dernière réédition 2007.

13- J.Austin, Quand dire c'est faire, Traduction Française, Gilles Lane, Postface de François Recanati, Editions le seuil, Paris 1970

14- J.Moeschler, A.Reboul, Langage et Pertinence, connecteurs et métaphores, P.U.Nancy, Nancy 1994

15- R. Eluard ،La pragmatique linguistique، Nathan Editions، Paris 1985.

10– الهوامش والإحالات:

[1]- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللّغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1985، ص 235، وينظر كذلك: نعوم تشومسكي، المعرفة اللّغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة محمد فتيح، ط1، دار الفكر العربي للطبع والنّشر، القاهرة 1993، ص170–173.

[2]– عبد الرحمان شولي، فلسفة المعنى في الفكر واللّغة والمنطق، نظرة إلى جدلية الدّوال والمدلولات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 2016، ص119.

[3] – خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر 2009، ص51.

[4] - J.Austin, Quand dire c'est faire, Traduction Française, Gilles Lane, Postface de François Recanati, Editions le seuil, Paris 1970, P 109.

[5]– جان مارك فيري، فلسفة التّواصل، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2006، ص11.

[6]– جورج يول، التداولية، ترجمة قصيّ العتابي، ط1، دار الأمان، الرباط 2010، ص 21.

[7] -F. Armengaud, La Pragmatique, Presses universitaires de France, Que sais-je ? No 2230, 1985 ; dernière réédition 2007.

[8] - J.Moeschler, A.Reboul, Langage et Pertinence, connecteurs et métaphores, P.U.Nancy, Nancy 1994. P 15.

[9]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار التنوير، الجزائر 2008، ص25.

• الدكتور خليفة بوجادي باحث جزائري، تمّ اختيار كتابه "في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم" نظرا لبروز مصطلح التّداولية فيه دون التّركيز على مبحث معيّن من مباحثها، وربط هذا المصطلح بما سبقه من دراسات عند العرب.

[10]– ينظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر والتّوزيع، الجزائر 2009، ص70-71.

[11]– ينظر: الطاهر، بومزبر، التّواصل اللّساني والشّعرية، مقاربة تحليلية لنظرية جاكبسون، ط1، منشورات الاتلاف، الجزائر 2007، ص17-21.

[12]– مصطفى غلفان، اللّسانيات البنيوية، منهجيات واتّجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان 2013، ص311.

[13] - R. Eluard ،La pragmatique linguistique، Nathan Editions، Paris 1985, P79.

[14]– ينظر: عبد الحفيظ دحماني، نجيدة ولهاصي، المقاربة التّواصلية من التّنظير اللّساني إلى الفعل التّعليمي، التّواصل اللّغوي اللّفظي في السّنة الثّالثة متوسّط أنموذجا، مجلة اللّغة العربية، المجلّد 25، العدد 1، المجلس الأعلى للّغة العربية 2023، ص425.

[15]– خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية، ص 153.

[16] - A.Berrendonner, Eléments de pragmatique linguistique, Editions Minuit, Paris 1981, P80.

[17]– فليب بلونشيه، التداولية من أوستين إلى قوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتّوزيع، سوريا 2007، ص 171.

[18] -A.Berrendonner, Eléments de pragmatique linguistique, P 80.